صفحة حزينة . . . !

[إلى زوجتي الشابة المثقفة الطيبة الخلق
شريكة حياتي ورفيقة دراساتي] .

الأستاذ عبد الرحمن صدقي

بعد أيام . . .

مماتك في الرَّيعان أمسى مقاتلي
وفقديكِ من عيشي مثيرٌ مشاكلي
وكنتِ الغِنَى من مشكل بعد مشكل
وعقداتِ نفسٍ تستديم قلاقلي
مشاكل شتَّى : حاجةُ النفس للهوى ،
وحاجةُ ذي حسٍّ ، وحاجة عاقل
جمعتِ لي الدنيا — فأغنيتِ معدمي ،
وأمتعتِ محرومي ، وزينتِ عاطلي
أدور بعيني كالشريد بلا هوًى ولا منزلٍ مثلِ الهوى والمنازل
وما منزلي إلا الذي أنتِ ملؤُه وما من هوى إلاكِ بين العقائل
رأيت الغواني وهي لهوٌ ومظهرٌ وأنتِ مزاجٌ من جميلٍ وكامل
ورقة إحساسٍ ، وعفة لفظةٍ ولحظٍ وتفكيرٍ ، وحفل فضائل
تعزَّيْتُ لو أني كغيري من الورى
وأنَّكِ أنثى كالنساء الحوامل
ولكنني نفسا وحسًّا مُعقَّدٌ
وأنكِ طبٌّ للنفوس العلائل
أقول لدهري فيمَ ، فيمَ حرمتني ؟
وكل عزائي كان فيها ونائلي
أسائله في كل يوم وليلة ولن ينتهي مهما حييتُ تساؤلي
أراني مع الأيام تزداد لوعتي ، وعهدي بها للنقص في قول قائل
ويوحشني ، أني وحيد وأنني
مع الناس — أبغي الأنسَ في غير طائل
يزلزلني همي ، فأخرج هائما أسكِّن في هذا الفضاء زلازلي
فأذهل أن ألقى السماء وضيئةً تَشِعُّ على الآفاق بسمة آمل
وأن تكتسي الأشجار أنضرَ حضرة
ويرقصَ موجُ النيل رقصة جذل
بما تسخرُ الأقدار : موتٌ وأدمعٌ
وثمَّةَ أنوارٌ وزهر خمائل ؟ !
خيالك في الثابوت أثلج بي دمي ،
وأحرق أعصابي ، وهدَّ مفاصلي
وغيَّض دمعي أن رأيتك جثةً
وجسمك معروق العُرَى والأسافل
ووجهك شمعٌ ذو شحوبٍ وصفرة
كرسمٍ عتيقٍ في التصاوير حائل
وشَعرك غريبٌ ، وهُدبك أسودٌ
كذيل غُرابٍ حالك الريش ذائل
وما أنس لا أنسى جبينَك عاليا
قويا — على قيد الردى — غير ناكل
كأن الردى قد هاب ما في وطابه
من العلم عصريًّا وعلمَ الأوائل
وأذكر زوجي كيف كانت إلى مدًى
قريب ، وما اختُصَّتْ به من شمائل
فيهملّ دمعي هامراً بعد حبةٍ
تَفجَّرَ مُزنٍ حافل الضرع هاطل
وأعجبُ من شأن الحياة وسرِّها وأعجب من شأنِ المنون العاجل
ويبلغ من فعل الزمان تعجُّبي ، فأضحك كالمفجوء من فعل هازل
هنا كان إنسانان : شطرٌ وصِنْوُهُ
سعيدان في فيضٍ من العطف شامل
ففيمَ انصداعُ الشمل ، شطر على الثرى
وآخر من تحت الثرى والجنادل
لقد كان لي في الحب نَحْيا مضاعفٌ
وحبك — بعد البين — لا شك قاتلي

ذكرى

على الرغم مني أن خلا منكِ معهدُ
وأنَّكِ ذكرى كالصدى يتردد

وأنت التي كانت عميقا شعورُها
وتفكيرُها فهي الوجود المؤكّد
طواك الردى مذ بين يوم وليلة وأهنأ هذا الناس نحن وأسعد
وجِدُّ الردى هزلٌ، وأحكامه هوًى
ومنطقه فوضى القياسِ مقنّد
قضى أن تموتي حتفَ أنفاسك غصّة
وما أنت كُبرانا ولا أنتِ أزهد
وأن يتوافى نحو بيتك صحبُنا فيلقاهم في البيت أرملُ مُفرد
يعزّين أهلي شجاهم تهالكي يقولون هذي أختها تتجلد
وما أختها؟ إني عدمتُ قرينتي وأختي، ومن أرجو، ومن أتفقد
تسائلني أمي فحمّى: أين تقصد؟ فأفحم لا أدري، فيَسْوى تشرُّد
وأغمض جفني حين تطرق مضجعي
ليُسكن روعَ الأم أنيَ أرقد
يُهيّج ما بي أن ألاقي معزّيا
وما بي — وإن طال المدى — ليس يخمد
وجانبتُ من لم يبلغ النّعي سمعَه حذارَ سؤالٍ عنك لا يُتعمّد
وأعدل عن هذا الطريق لغيره فقد طالما جُزناه نهوى ونصعد
وخير رفيقٍ أنتِ في كل رحلة وخير سمير للحديث يتنضّد
ونجلس في حضن الطبيعة، صمتُنا مناجاتها — إن الطبيعة معبد
ونجلس للاسفار ندرسها معا
كأنّ ليس غير الكُتب في العيش مقصد
فلا درس إلا وهو عندك أرشد ولا لهو إلا وهو قربك أرغد
أمثلك لي خلٌّ كريمٌ موافق! أبعدك نعمى في الحياة وأسعدُ!
وهل متعة إلا عليها موكلٌ يحرّمها من ذكرياتك مُرصَد
بحسبيَ أيام قلائل عشتُها بواحة روضٍ حولها العمر فدفد
هنيهة أنسٍ، قبلها العيش صفحةٌ
بياضٌ وعيشي بعدها اليومَ أسود
ووالله لا أدري أدهري أذمُّه
على قِتمرٍ فيها — ولا شيء مُخلَد؟
أوانيَّ على ما خصّني فأذاقني
ولو طرفاً من ذلك الخلد أحمد؟

برغمي أن قد عاود الشعر مِقْوَلي
وأن كان في سرّاكِ منه التجدد
وقد كان يستعصي عليّ، فما له
كدمعي معينٌ سيلُه ليس يجمد!
تعجّب أصحابي وطال سؤالهم يقولون لي في كل يوم تقصّدُ
وما كان أغناهم عن القول لو درروا بأني طول الليل بقطان مُسْهَدُ
وكنتِ عروسي في الحياة، فلا تَني
عروسيَ قصيدي تلهمين وأُنشد

عبد الرحمن صدقي

كرسي مجلس النواب

للأستاذ محمد الأسمر

[نظم الشاعر هذه الأبيات للشبان النواب بمناسبة فوز أصدقائه الثلاثة: مصطفى بك أمين، علي أمين، كامل الشناوي في المعركة الانتخابية].

تهنئاتي: ثم كونوا عندما قلتمُ قبل دخول (المجلس)
واحذروا (الكرسي) كم مرّ به معشرٌ غيركم، ثم نسي
لا تكونوا فوقه مثل الذي يحضر (الجلسة) مثل الأخرس
أو كن يهتف للزور به فإذا الحق بدا لم ينبس
أو كن تصفيقه ثروته وهي عندي رأس مال المفلس
أو كن قيل له كن فوقه صنما، جئتَ لهذا فاجلس
أو كن يشتم قوما ظالما فهو يعوي كعواء الأطلس
أو كرهط فوقه سيماهم عدم الفهم، وهن الأرؤس
أو كمن نام به ليس له من وجود فيه غير النفس
أو كمريان رآه متجراً فهو فيه قاعد كي يكتسي
بئس من أكرمه الله به فأبى إلا حياة التعس
يحمل الكرسي منه جثة أيها الكرسي لا تبتئس
هذه الدنيا حظوظ كلها وكذا حظك، فانظر وائتس

* * *

يا أزاهير الشباب المرتجى حققوا فيكم رجاء الأنفس
أنتمُ ضوءٌ جديدٌ عمّه في غدٍ فجرٌ لهذا النّفس

محمد الأسمر